

أضواء البيان

. @ 162

وجزى الزمخشري بما هو أهله . .

الأمر الرابع : هو دلالة استقراء القرآن العظيم أن الله تعالى إذا أراد أن يفرض المستحيل ليبين الحق بفرضه علقه أولاً بالأداة التي تدل على عدم وجوده وهي لفظة لو ، ولم يعلق عليه ألبيته إلا محالاً مثله ، كقوله : { لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلُ هَـٰٓٔةٌ إِلَّا آلَ لَـٰٓءِئِهِ } ، وقوله تعالى : { لَوْ أَنَّ رِجَالَ اللَّهِ يُدْخِلُونَ الْأَرْضَ رِجَالًا ثُمَّ لَجَعَلْنَا لَهَا جِبَالًا يُدْخِلُونَ فِيهَا الْبُحْرَ أَفَلَا يَرَوْنَ حَسْرَتَهُ } ، وقوله تعالى : { لَوْ أَنَّ رِجَالَ اللَّهِ يُدْخِلُونَ الْأَرْضَ رِجَالًا ثُمَّ لَجَعَلْنَا لَهَا جِبَالًا يُدْخِلُونَ فِيهَا الْبُحْرَ أَفَلَا يَرَوْنَ حَسْرَتَهُ } . .

وأما تعليق ذلك بأداة لا تقتضي عدم وجوده كلفظة إن مع كون الجزاء غير مستحيل فليس معهوداً في القرآن . .

ومما يوضح هذا المعنى الذي ذكرنا ، المحاورة التي ذكرها جماعة من المفسرين ، التي وقعت بين النضر بن الحارث ، والوليد بن المغيرة ، وهي وإن كانت أسانيداً غير قائمة ، فإن معناها اللغوي صحيح . .

وهي أن النضر بن الحارث كان يقول : .

الملائكة بنات الله فأنزل الله قوله تعالى : { قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ } . . فقال النضر للوليد بن المغيرة : ألا ترى أنه قد صدقني ؟ فقال الوليد : لا ما صدقك ولكنه يقول : .

ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين ، أي الموحدين ، من أهل مكة المنزهين له عن الولد . فمحاورة هذين الكافرين ، العالمين بالعربية ، مطابقة لما قررنا . .

لأن النضر قال : إن معنى الآية على أن إن شرطية مطابق لما يعتقده الكفار من نسبة الولد إلى الله ، وهو معنى محذور وأن الوليد قال : إن (إن) نافية ، وأن معنى الآية على ذلك هو مخالفة الكفار وتنزيه الله عن الولد . .

وبجميع ما ذكرنا يتضح أن إن في الآية الكريمة نافية . .

وذلك مروي عن ابن عباس والحسن والسدي وقتادة وابن زيد وزهير بن محمد وغيرهم .